ملخص كتاب مفهوم الدولة/التمهيد والفصل السابع.

أحمد الشويعي.

يبدأ الكاتب في مستهل كتابه الحديث عن الدولة والاسئلة الرئيسية المتعلقة بنشأتها والغاية من وجودها وفي مقدمة كتابه يقول:

* ان الدولة سابقة للحرية وان المعاناة هي مرادف للسلطة والسلطة مرادف للدولة، وفي تعريجه على أنه يمكن أن يكون هناك حالة سابقة على الدولة ينوه أنه
* لا يفيد بشيء تصور حالة سابقة على الدولة وان وجدت حالة مثل تلك فانها لن تساعدنا على فهم الدولة القائمة حاليا، وإن الدولة سابقة على فكرة الدولة وأي تساءل عنها إنما هو تساءل عن الاصل والهدف، والدولة مجسدة دائما في شخص او عدة اشخاص فهي معرضة لآفات الحياة البشرية، ان الدولة دائما مزامنة للفرد والمجتمع وكل تفكير حول الدولة يدور على ثلاث محاور وهي الهدف، التطور، الوظيفة.
* ان الدولة تدرس حسب اربع مناهج وهي القانون، التاريخ، الفلسفة، والاجتماعيات.
* مفهوم الدولة عند الفيلسوف يكمن في ما هو الهدف منها، مفهوم الدولة عند عالم الاجتماعيات يكمن في ما هي الوظائف التي تؤديها الدوله في المجتمع الذي بنيت عليه، اما المؤرخ فهو يستنتج مفهوم الدولة من تتبع انماط الماضي التي تتابعت قطعيا في الوثائق.

ثم يعرج الكاتب في الفصل السابع عن العقلنه ومفهومها وبعض الدراسات التي اجريت لقياسها كمحدد من محددات الدوله العصرية وهنا يقول:

* ان العقلانيه مرتبطه بظاهرة البيروقراطية حسب تحليلات ماكس فيبر وعندما نستعمل مفهوم العقلانيه في الاجتماعيات والسياسيات فانه يكون:

اولا/ مرتبط بنمو تاثير الطبقة التجارية في الاقتصاد والمجتمع الاوروبي.

ثانيا /مجسد في التنظيم الاجتماعي وفي السلوك الفردي.

ثالثا/ مفصول عن الاخلاقيات.

* لم يتضح المفهوم الطبيعي للعقل الا بعد وقت طويل، ولم يتبلور المفهوم الاجتماعي للعقلانيه الا في اواسط القرن ، وعليه اذا حل العقل في الطبيعه من جراء النشاط الانساني فانه يمكن ان يحل في المجتمع لتغيير التنظيمات المحيطه بالفرد، وبدا التغيير بكيفيه غير مباشره في الميدان العسكري، حيث كان علم الاستراتيجيه اول علم وظف العقل البرهاني لاغراض انسانية، الا ان الميدان العسكري يبدو بعيدا عن المجتمع لان اغراضه هدامه.
* ان سبب تهافت علماء الاجتماع والسياسة على مفهوم العقلانية- اي حلول العقل في تنظيم وسلوك- لأنه وسيلة موضوعية للحكم على مجتمع معين مقارنة بالمجتمع الغربي، ان ظهور البيروقراطيه في مجتمع ما له دلالة لأنه يرمز إلى تحقيق:

اولا/ موضوعية الدولة التي تفصل عن ذات السلطان.

ثانيا/ موضوعية القانون الذي يفصل عن ذات القاضي او الولي.

ثالثا/ موضوعية المسطرة القضائية التي تفصل عن ذات المتقاضي.

رابعا/ امكانية التنبؤ بسلوك السلطان والقاضي والولي وكل من له نفوذ.

واجهت نظريه ماكس فيبر عن البيروقراطيه اعتراضات كثيره اهمها:

ان البيروقراطيه ليست في كل الاحوال حافظا على العقلنة والتقدم ، عندما تتجاوز حد معين فانها تعود في خدمه ذاتها بدون اعتبار بمصلحه السكان، وتم انجاز دراسات تمهيديه عن البيروقراطيه في مصر ولبنان نظرا لتقارب الموظفين الموجودين فيهما من النموذج الفيبيري، كان الهدف منها تقييم مدى حداثة المجتمعين وكانت النتيجه ان البيروقراطية القائمه لا تجسد العقلانية بقدر ما هي تحافظ على العلاقات الموروثة، حيث ان حجم ونوع الوظيفي مبني على الحاجه الاجتماعيه التي تنمو مع الضغط السكاني في مصر او الحفاظ على التوازن الطائفي في لبنان، لذا لم تتحقق موضوعية القانون والدولة والمسطرة، ولم يتوحد سلوك الموظفين الى حد يمكن معه التنبؤ، وما زال سلوك كل موظف مرتبطا بذاته وبشخصية من يحاوره في شان خدمه معينه.

تم يتوجه الكاتب للربط بين البيروقراطيه وسمات الدوله كونها ضعيفه او قويه ونظرت الفكر العربي المعاصر لمفهومها ويقول في ذلك:

* اذا كانت الدوله الحديثه لا تنشا وتتقوى الا ببيروقراطيه عصريه تجسد العقلانيه الاجتماعية، كذلك لا ينضج الفكر السياسي الا بتمثل هذه المفاهيم الثلاثه وهي الحرية، الدولة، العقلانية في ان واحد.
* ان الفكر العربي المعاصر من واقع اجتماعي تتساكن فيه الدوله والفرد كعنصرين متقابلين متعارضين، وفي نفس الوقت يتسبب في الانعزال عن الواقع والياس منه، ان ادراك الواقع الاجتماعي لا يتم الا بتجاوز ذلك التساكن اي بتجاوز تخصيص المفاهيم لمجالات اجتماعيه وفكريه متباعده.

(( ان الحريه خارج الدوله طوبى خادعه، وان الدوله من بلا حريه ضعيفه متداعيه ))

* علينا التامل في هذه المتلازمات ولا ننجرف وراء استعجالات طوباويه تفتح الباب الى الفوضويه والفوضويه خلاقه ادبيا عميقه سياسيا واجتماعيا.
* إن التحليل الموضوعي يظهر بدون لبس ان الدولة الشمولية تتميز عن غيرها فقط بكونها اكثر وفاء لمنطق التنظيمات، هذه الميزه لا تمنع سقوط السلطه في يد فرد او جماعه من ، فتتراجع من دولة تنظيمية معقلنة نسبيا الى دوله مملوكية سلطانية، فتتحول البيروقراطية الحكومية إلى مجموعة امناء على مصالحها والخزينة العمومية إلى بيت مال خاص تحت تصرفها والبيروقراطية هي فقط وسيلة قد تستخدم من اجل الحرية وقد تستخدم من اجل القمع العنيف، لابد لتحقيق الوحدة من جهاز دولة، كل عمل وحدوي يقوي البيروقراطية الاقليمية التي تتبناه، وعليه فان الفكر العربي المعاصر اصبح ينقسم إلى:
* المجتمع العصري الليبرالي، المجتمع اللا طبقي الماركسي، المجتمع العربي الاشتراكي الموحد

وفي الختام يرى إن نظرة الفرد العربي الى السلطة وهي نظرة ورثها عن الماضي، لم تنجح في تركيز الكيان القائم وتحويله الى مجتمع سياسي، ولم تفتح الطريق لانشاء دوله عربية واحده كما انها تضعف الكيان دون ان تضمن حريه الفرد.